

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
كلية الآداب والحضارة الإسلامية
قسم اللغة العربية

محاضرات البلاغة لطلبة الشريعة
- السداسي الرابع -

من إعداد الدكتور:
❖ عبد العزيز جودي

السنة الدراسية: 2019 - 2020

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن وأحكمه، والصلاة والسلام على نبينا القائل خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وعلى آله وعلى أصحابه من اتبعوا خير سبيل وأقومه، أما بعد:

تنال علوم العربية الشرف الأعلى لكون مادتها القرآن الكريم، فما نالت العربية هذا الشرف إلا بشرف مادتها وهو القرآن الذي جاء بهذا اللسان، فارتقت العربية وعلت، فعن عُثْمَانَ - رضى الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » (أخرجه البخاري)، فلا يمكن أن يوصل إلى أحكام القرآن الكريم وفهم دقائقه ومعانيه وفقه لغته والعلم بها وضبط قواعده والوقوف على علوم معانيها وبيانها وبديعها ومعرفة مفاتيح التنزيل إلا باللغة العربية، وكذلك معرفة أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، فهو أبلغ البلغاء، فاللغة العربية هي أم علوم الآلة.

وذروه سنام العربية ولبها وتاجها وجوهرها هو علم البلاغة، وقد عدّها العلماء علماً قرآنياً، لأن نشأتها أساساً كان في أحضان فهم التنزيل، وإدراك أسباب الإعجاز، ومعرفة طرقه ومسالكه .

وقد علمنا مما سبق من محاضرات أن المتأخرين يقسمون البلاغة إلى ثلاثة علوم:

علم المعاني - علم البيان - علم البديع

وسبب هذا التقسيم أنّ البلاغة في الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره، والثاني أعني التمييز منه ما يتبين في علم متن اللغة أو التصريف أو النحو أو يدرك بالحس وهو ما عدا التعقيد المعنوي.

وما يحتز به عن الأول أعني الخطأ هو علم المعاني.

وما يحتز به عن الثاني أعني التعقيد المعنوي هو علم البيان.

وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع.

ملاحظة: كثير من الناس يسمي جميع علوم البلاغة علم البيان كالجاحظ في كتابه: البيان والتبيين.

المحاضرة الأولى: نبذة عن نشأة علم البيان وتطوره

ترتبط «البلاغة العربية» في الأذهان عند ذكرها بعلومها الثلاثة المعروفة لنا اليوم وهي: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع.

وقد يتبادر إلى بعض الأذهان أنّ هذه العلوم الثلاثة البلاغية قد نشأ كل واحد منها مستقلا عن الآخر بمباحثه ونظرياته، ولكن الواقع غير ذلك.

فالواقع أنّ البلاغة العربية قد مرّت بتاريخ طويل من التطور حتى انتهت إلى ما انتهت إليه، وكانت مباحث علومها مختلطا بعضها ببعض منذ نشأة الكلام عنها في كتب السابقين الأولين من علماء العربية، وكانوا يطلقون عليها «البيان».

وقد أخذت الملاحظات البيانات تنشأ عند العرب منذ العصر الجاهلي، ثمّ مضت هذه الملاحظات تنمو بعد ظهور الإسلام لأسباب شتى، منها تحضر العرب، واستقرارهم في المدن والأقطار المفتوحة، ونهضتهم العقلية، ثمّ الجدل الشديد الذي قام بين الفرق الدينية المختلفة في شؤون العقيدة والسياسة. فكان طبيعيا لذلك كله أن تكثُر الملاحظات البيانية والنقدية تلك التي نلتقي بها في تراجم بعض الشعراء الجاهليين والإسلاميين في كتاب مثل كتاب الأغاني.

وإذا انتقلنا إلى العصر العباسي فإننا نجد بالإضافة إلى نمو الملاحظات البلاغية محاولات أولية لتدوين هذه الملاحظات وتسجيلها، كما هو الشأن في كتب الجاحظ، وبخاصة كتاب «البيان والتبيين». وقد أدّى إلى هذه النقطة الجديدة عوامل منها تطور الشعر والنثر بتأثير الحضارة العباسية، ورفي الحياة العقلية فيها، ومنها ظهور طائفتين من العلماء المعلمين عنيتا بشؤون اللغة والبيان، إحداهما طائفة محافظة هي طائفة اللغويين، وهؤلاء كانوا يعلمون رواية الأدب وأصوله اللغوية والنحوية، وكان اهتمامهم بالشعر الجاهلي والإسلامي أكثر من اهتمامهم بالشعر العباسي، وقد هداهم البحث في أساليب الشعر القديم من ناحيتها اللغوية والنحوية إلى استنباط بعض الخصائص الأسلوبية على نحو ما نجد في كتاب سيبويه من مثل كلامه عن التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتكثير، ونحو ذلك.

كذلك نلتقي بكتاب «معاني القرآن» للفراء «207 هـ»، والذي يعنى فيه بالتأويل وتصوير خصائص بعض التراكيب، والإشارة إلى ما في أي الذكر الحكيم من الصور البيانية.

ثمّ نلتقي بكتاب «مجاز القرآن» لأبي عبيدة معمر بن المثنى «211 هـ» الذي كان معاصرا للفراء، وهذا الكتاب لا يبحث في مجاز القرآن من الجانب البلاغي، وإنما هو بحث في تأويل بعض الآيات

القرآنية، وأبو عبيدة هذا هو أول من تكلم بلفظ المجاز، كما ذكر ابن تيمية في كتابه «الإيمان» ولكنه لم يتكلم عن المجاز الذي هو قسيم الحقيقة، وإنما المجاز عنده يعني بيان المعنى. ومع هذا فقد وردت في كتابه «مجاز القرآن» إشارات إلى بعض الأساليب البيانية كالتشبيه والاستعارة والكناية، وبعض خصائص التعبير النحوية التي لها دلالات معنوية من مثل الذكر والحذف والالتفات والتقديم والتأخير.

ومع ما اهتدى إليه كل من الفراء وأبي عبيدة من السمات والخصائص البيانية فإنّ مدلولاتها البلاغية لم تتبلور وتحدد في ذهن أي منهما أو أي من اللغويين والنحاة المعاصرين لهما.

أما طائفة العلماء المعلمين الأخرى التي ظهرت في العصر العباسي فهي طائفة علماء الكلام وفي طليعتهم المعتزلة الذين كانوا يدرّبون تلاميذهم على فنون الخطابة والجدل والبحث والمناظرة في الموضوعات المتصلة بفكرهم الاعتزالي. وكان هذا التدريب يعمق ويمتد حتى يشمل الكلام وصناعته وقيمه البلاغية والجمالية.

وقد حفظ لنا كتاب البيان والتبيين للجاحظ قدرا كبيرا من ملاحظات المعتزلة المتصلة بالبلاغة العربية، وهذه قد استقاها من مصدرين هما: التقاليد العربية، والثقافات الأجنبية التي شاعت في عصرهم واطلعوا عليها. فالثقافات الأجنبية التي أخذوا أنفسهم بدراستها وتعمّقوا في فلسفتها ومنطقها قد عادت عليهم بفائدتين لهما أثرهما في شؤون البلاغة: فائدة عقلية بجثة مصدرها دراسة الفلسفة الإغريقية التي نظمت عقولهم تنظيما دقيقا أعانهم على استنباط القضايا البلاغية، وفائدة أخرى ترجع إلى طلبهم معرفة ما في ثقافات الأمم الأخرى التي وصلت إليهم من قواعد البلاغة والبيان.

ويتضح ذلك حين نجد الجاحظ المعتزلي يورد في كتابه البيان والتبيين تعاريف اليونان والفرس والهند للبلاغة وهذا يعني أنّ المعتزلة أخذوا يضيفون إلى ملاحظات العرب الخاصة بالبلاغة ملاحظات الأمم الأجنبية وخاصة اليونان، ومضوا من خلال ذلك ينفذون إلى وضع المقدمات الأولى لقواعد البلاغة العربية.

وأول معتزلي خطا خطوة ملحوظة في هذا السبيل هو رئيس المعتزلة ببغداد بشر بن المعتمر المتوفى سنة 210 للهجرة، فعنه نقل الجاحظ صفحات نشر فيها بشر ملاحظات دقيقة في البلاغة، تلقفها من جاء بعده من العلماء، واستعانوا بها على بلورة بعض أصول البلاغة وقواعدها.

ولعلّ أكبر معتزلي جاء بعد بشر بن المعتمر وأولى البلاغة العربية عناية فائقة هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة 255 للهجرة. فقد ألّف في البلاغة كتابه «البيان والتبيين» في أربعة مجلدات ضخام جمع فيها معظم ما انتهى إلى عصره من ملاحظات بلاغية، سواء ما اهتدى إليه علماء العربية بأنفسهم أو ما جاء إليهم منقولاً عن آداب الفرس والهند واليونان وغيرهم أو عن طريق ما قاله بشر

بن المعتمر وكان به سابقا لعصره في ميدان البلاغة. هذا بالإضافة إلى آراء الجاحظ وملاحظاته الخاصة في القضايا البلاغية، ولا سيما ما يتصل بالتشبيهات والاستعارات والمجازات التي هي موضوع «علم البيان».

وقد خطا الجاحظ خطوة غير مسبوقة في ملاحظاته البلاغية، وذلك بالكلام عن التشبيه والاستعارة عن طريق النماذج، مع التفريق بينهما، كما استعمل «المثل» مرادفا للمجاز، وجعله مقابلا للحقيقة، وذلك إذ يقول عند حديثه عن «نار الحرب»: «ويدكرون نارا أخرى، وهي على طريق المثل لا على طريق الحقيقة. قال ابن ميادة:

يداه يد تنهلّ بالخير والندى ... وأخرى شديد بالأعادي ضيرها

وناراه: نار نار كل مدقع ... وأخرى يصيب المجرمين سعيها

فالمثل المرادف عنده للمجاز قد استعمله مقابلا للحقيقة، وبهذا كان أول من فطن إلى تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز. ولا شك أنّ هذا ينفي ما زعمه ابن تيمية في كتابه «الإيمان» من أنّ تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث بعد القرن الثالث الهجري.

ولعلّ خير من أفاد من ملاحظات الجاحظ البلاغية وبنى عليها وطوّرها هو ضياء الدين بن الأثير المتوفى سنة 637 للهجرة، في كتابه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر».

ومجمل القول في الجاحظ من جهة البلاغة أنّه ألمّ في كتبه بالأساليب البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وحقيقة ومجاز، ولكنه لم يوردها في تعريفات اصطلاحية، وإنّما جاء تعريفه لها والدلالة عليها عن طريق الأمثلة والنماذج لا عن طريق القواعد البلاغية.

والمقارنة بينه وبين من تقدموه في هذا الميدان تظهر أنّه كان بلا شك أقدرهم على إدراك أسرار البلاغة، وأكثرهم اهتماما عن طريق النماذج إلى شتى العناصر أو الأساليب البيانية التي عرفت وحددت فيما بعد، وأصبحت تؤلف مباحث البلاغة وموضوعاتها. ولهذا فهو يعدّ بحق مؤسس البلاغة العربية الأول، ومعبّد الطريق أمام من أتى بعده من رجالها.

ثمّ جاء من بعده متأثرا بخطاه وإن لم يكن معترليا مثله: ابن قتيبة الدينوري «276 هـ» ففي كتابه «تأويل مشكل القرآن» يتحدّث أولا عن إعجاز القرآن كرد على الطاعنين في أسلوبه، جهلا منهم بأساليب البيان العربي، ثمّ ينتقل من ذلك إلى الحديث المبوب عن موضوعات «علم البيان» من حقيقة ومجاز وتشبيه واستعارة وكناية.

وبعد ابن قتيبة يأتي معاصره أبو العباس المبرد «285 هـ» بكتابه «الكامل» الذي يجمع بين الشعر والنثر، ويعدّ من كتب اللغة الممهدة للمعاجم بما تضمنه من تفسير كل ما يقع في نصوصه من كلام غريب أو معنى مغلق.

ومع أنّ «الكامل» في الأصل كتاب لغة فإنّ المبرد تعرض فيه عند شرح النصوص الأدبية لبعض موضوعات البيان مثل المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه الذي توسع في بحثه وقسمه إلى أربعة أقسام: تشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد. وقد استوحى هذا التقسيم مما كتبه الجاحظ عن التشبيه دون أن يضيف هو إليه جديدا من عنده.

وأول كتاب من كتب علماء الكلام الذين اهتموا بالمباحث البلاغية من أجل تفسير الإعجاز البلاغي للقرآن هو كتاب «النكت في إعجاز القرآن» للرماني المعتزلي «386 هـ».

وقد تحدّث الرماني فيه عن البلاغة وجعلها في عشرة أبواب يعيننا منها هنا اثنان من أبواب «علم البيان»، هما التشبيه والاستعارة. أمّا التشبيه فقد قسمه إلى حسي وعقلي، ثمّ فصل القول في العقلي منه تفصيلا أفاد منه فيما بعد عبد القاهر الجرجاني في كتاب «أسرار البلاغة». وكذلك توسع في الكلام عن الاستعارة مبينا قيمتها البيانية، وأمّا أبلغ في الدلالة على المعنى من الحقيقة. وكل ما قاله الرماني عن الاستعارة كان رصيذا جديدا انتفع به أيضا فيما بعد عبد القاهر وغيره من البلاغيين إلى حد كبير.

وكتاب «النكت في إعجاز القرآن» بمشتملاته ومضمونه والجديد فيه له أثر واضح في تاريخ البلاغة العربية، فقد عرّف فيه بعض ألوانها تعريفا نھائيا، وميّز أقسامها وأفاض في شرحها.

تلك نبذة عن مسائل «علم البيان» التي وردت في كتب بعض المتكلمين ممن عنوا بدراسة بلاغة القرآن وأسرار إعجازه. وبالإضافة إلى ذلك ظهرت في القرن الرابع الهجري دراسات نقدية على أسس بلاغية تعرّض فيها أصحابها إلى مباحث من علم البيان، ق

سبق في المحاضرات الماضية الكلام عن أشهر الكتب فيها مما يستغنى به عن إعادة القول والله الموفق.

المحاضرة الثانية: تعريف علم البيان

البيان كما هو معلوم نعمة امتن الله بها على عباده حيث قال جل وعلا: {الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} (الرحمن: 1 - 4) فالإنسان بهذا التعليم تميز عن كثير من الخلق، وصار ناطقًا مبيّنًا يستطيع أن يعبر عما يجول بخاطره من المعاني، وأن يوصلها إلى غيره من البشر، ويتلقاها الغير عنه؛ فيتم التفاهم، وتحقق السعادة بين البشر.

والبيان في اللغة يعني: الظهور، والوضوح، والإفصاح، يقال: بان الشيء بيانًا أي: اتضح، وأبنته أوضحته، واستبان الشيء أي: ظهر، وبان الصبح لذي عينين أي: ظهر ووضح، والبيان الفصاحة والإفصاح مع ذكاء، والبيّن من الرجال السمع اللسان، الفصيح الظريف، العالي الكلام، في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- ((إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكم)) قال ابن عباس: "البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسن، وأصله الكشف والظهور"، هذا الكلام ذكره صاحب (لسان العرب) في مادة بين.

أمّا البيان عند الجاحظ: "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، حتى يُفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصولة"، وهو لدى الرماني "الإحضار لما يظهر به تمييز الشيء من غيره في الإدراك"، ويرى عبد القاهر أنه من مقتضيات النظم، فهو به يكون وعنه يحدث، ومحصلة كل ذلك أن البيان بمعناه اللغوي، أو المعنى العام، أو الأدبي يعني: التعبير عما يدور في الذهن، وتحسن به النفس بأسلوب فني رائع، أو هو المميزات التي يتفاضل بها الأدباء والشعراء، ويظهر بها فضل كلام على كلام.

هو بهذا المعنى يشمل علوم البلاغة الثلاثة المعاني والبيان والبديع، ويرادف الفصاحة والبلاغة والبراعة التي أدرجها جميعًا عبد القاهر تحت مسمى، أو باب واحد. هذا كله كلام في معنى البيان لكن بمعناه الواسع، أو بمعناه اللغوي.

أمّا البلاغيون المحدثون فلهم اصطلاح في تعريف البيان، فما هو تعريف البيان في اصطلاح البلاغيين؟ ذكره الخطيب القزويني في كتابيه التلخيص والإيضاح بأنه: " العلم الذي به يُعرف إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه".

وهو بهذا يتميز عن علم المعاني الذي يُعرف به أحول اللفظ العربي، التي بها يطابق مقتضى الحال، كما يتميز عن علم البديع الذي يبحث في وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة، ووضوح الدلالة.

فقول البلاغيين في تعريف علم البيان: علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، فكلمة علم: تعني مجموعة القواعد، والضوابط، والقوانين التي يُعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، كضوابط الاستعارة، والمجاز، وقوانين الكناية، والتعريض، والذي لا يقلُّ عن ذلك أهمية هو الملكة التي تترتَّب لدى الدارس؛ لتذوق هذه الضوابط، وتطبيقها على النصوص.

ومرادهم بالمعنى الواحد المعنى الذي يعبر عن المتكلم بكلام تام مطابق لمقتضى الحال. قولهم بطرق مختلفة مع وضوح الدلالة عليه يعني: متعددة ومتفاوتة في درجة الوضوح، بأن يكون بعضها واضح، وبعضها أوضح، وبعضها أشد وضوحًا، ألا ومرادهم بكلمة مع، أو في وضوح الدلالة عليه.

وللتطبيق على هذا التعريف نأخذ معنى من المعاني ليتكشف لنا علم البيان والمجال الذي يختص به دون سواه وليكن معنى: الكرم.

وسنذكر بعض الآيات في معنى واحد "وهو الكرم" ينطبق عليها التعريف، أتت بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.

ففي معنى الكرم يقول الشاعر الحماسي:

هم البحور عطاء حين تسألهم ... وفي اللقاء إذا تلقى بهم بُهم

شاعر آخر هو بديع الزمان الهمذاني يقول:

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبًا ... لو كان طلق المحيًّا يمطر الذهب

يقول أبو نواس:

إن السحاب لتستحي إذا نظرت ... إلى نذاك فقاسته بما فيها

وتقول الخنساء:

وكنت إذا كفُّ أتك عديمة ... ترجي نوالاً من سحابك بلتي

يقول شاعر آخر هو الفرزدق:

أبي أحمد الغيثين صعصعة الذي ... متى تُخلف الجوزاء والدلو يمطر

يقول البحتري:

وصاعقة من نصله تنكفي بها ... على رأس الأقران خمسًا سحائب

يقول آخر:

يزكون نار القرى في كل شاهقة ... يلقى بها المنديل الهندي محطوما

يقول آخر:

وما يك في من عيب فإني ... جبان الكلب مهزول الفصيل

تقول أيضاً الخنساء في بيت ترثي فيها أباها صخر:

طويل النجاد رفيع العماد ... كثير الرماد إذا ما شتى

ويقول أبو نواس:

فما جازه جود ولا حلّ دونه ... ولكن يصير الجود حيث يصير

فأنت واجد الأبيات العشرة جميعها في معنى واحد هو الكرم، فالكرم: يشبه بالسحابة والغيث وبأنه

كثير الرماد، وجبان الكلب ومهزول الفصيل وناره تشب للقري ... وهلم جرا.

هذا هو معنى واحد جمع بين هذه العشرة أبيات، لكنك تلاحظ في كل بيت له ما يميزه عن سواه،

فالمعنى الواحد وهو الكرم يتعدد، ويأتي في صور مختلفة، أو في طرق مختلفة مع وضوح الدلالة على

معنى الكرم، وسوف تدرك هذه الطرق بدراسة علم البيان.

مثال ثان في بيان فضل (العلم) مثلاً - قول الشاعر:

(1) العلم ينهض بالخصيس إلى العلى ... والجهل يقعد بالفتى المنسوب

ثم تقرأ في المعنى نفسه:

(2) العلم نهر، والحكمة بحر.

(3) والعلماء حول النهر يطوفون.

(4) والحكماء وسط البحر يغوصون.

(5) والعارفون في سفن النجاة يسرون.

فتجد: أن بعض هذه التراكيب أوضح من بعض، كما تراه يضع أمام عينيك مشهداً حسياً، يقرب

إلى فهمك ما يريد الكلام عنه من فضل العلم.

فهو: يشبهه بنهر، ويشبه الحكمة ببحر.

ويصور لك أشخاصاً طائفين حول ذلك النهر - «هم العلماء» ويصور لك أشخاصاً غائصين وسط

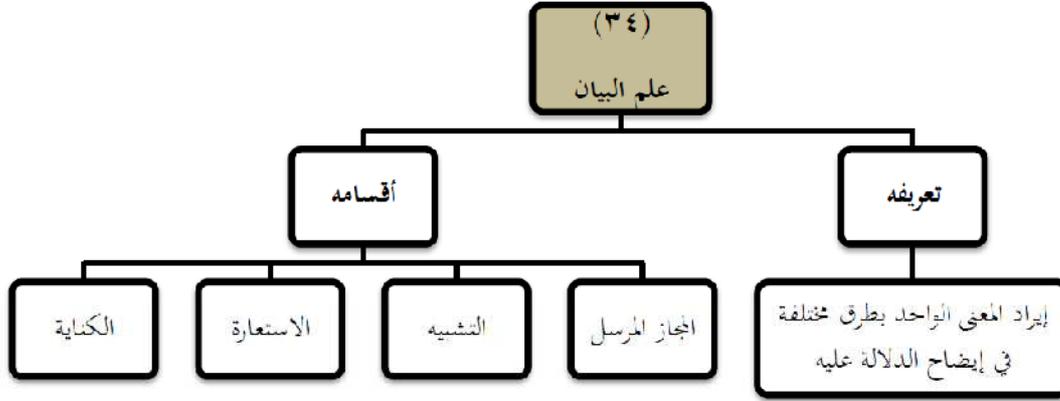
ذلك البحر - «هم الحكماء» ويصور لك أشخاصاً راكبين سفناً ماخرة في ذلك البحر للنجاة من

مخاطر هذا العالم - «هم أرباب المعرفة»

ولا شك: أن هذا المشهد البديع: يستوقف نظرك، ويستثير إعجابك من شدة الروعة والجمال

المستمدة من التشبيه، بفضل (البيان) الذي هو سر البلاغة.

(علم البيان)



ما هو أثر علم البيان في النفس؟

يقول شيخ البلاغة عبد القاهر: "إنك إذا قلت: "هو كثير رماد القدر" كان له موقع وحظ من القبول لا يكون إذا قلت: هو كثير الضيافة، وكذا إذا قلت: "هو طويل النجاد" كان له تأثير في النفس لا يكون إذا قلت: "هو طويل القامة"، وأنت تستشعر هذه المعاني وأنت تميز بين هذه التعبيرات، كثير رماد القدر، يختلف تمامًا عن قولك كثير الضيافة، فرق بين السماء والأرض، طويل النجاد تختلف عن كلمة طويل القامة.

إذا قلت أيضًا: رأيت أسدًا، كان له مزية لا تكون إذا قلت: رأيت رجلًا يشبه الأسد ويساويه في الشجاعة، وحسبك أنك اختصرت كل هذا في كلمتين: رأيت أسدًا، وكذلك إذا قلت: أراك تقدم رجلًا وتؤخر أخرى، كان له موقع لا يكون إذا قلت: أراك تتردد في الذي دعوتك إليه كمن يقول: أخرج أو لا أخرج، فيقدم رجلًا ويؤخر أخرى، أنت لك أن تستشعر أيهما أبلغ في الدلالة، أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، أم أنك تقول: أراك تتردد في الذي دعوتك إليه كمن يقول أخرج ولا أخرج فيقدم رجلاً ويؤخر أخرى، هذه هي معنى المعنى، كذلك إذا قلت: ألقى حبله على غاربه، كان له مأخذ في القلب لا يكون إذا قلت: هو كالبعير الذي يلقى حبله على غاربه، الغارب هو الكاهل من ذي الخف هو الجمل، وهو ما بين السنام والعنق، قول: هو كالبعير الذي يلقى حبله على غاربه حتى يرعى كيف يشاء، ويذهب حيث يريد كل هذه العبارة تُختصر في كلمة ألقى حبله على غاربه.

وأخذ هذا المعنى وقاله لمن كان حاله هكذا، "فلا تُجهل المزية فيه، أو لا يجهل المزية في هذه الكلمات أو العبارات المختصرة" هذا كلام عبد القاهر "إلا عديم الحس ميت النفس، وإلا من لا يكلم؛ لأنه من مبادئ المعرفة التي من عدمها لم يكن للكلام معه معنى، وهكذا السبيل في كل كناية والاستعارة من هذه القضية" انتهى من كلام عبد القاهر.

هذا الكلام نخلص منه في النهاية إلى أن كل ما تعلق على جهة الحقيقة بالاعتبار المناسب، وكان مرجع البلاغة فيه مراعاة المعاني الثانوية، والاحتراز عن الخطأ في تعدية المعنى المراد؛ اختص بعلم المعاني، وكل ما كان على جهة الاتساع، أو بعبارة عبد القاهر "فيه على الجملة مجاز وعدول باللفظ عن الظاهر، وهو ما أطلقوا عليه معنى المعنى؛ اندرج تحت علم البيان"، هذا هو الفرق بين هذا وذاك، أو بين العلمين، وكل ما كانت المزية فيه راجعة لتحسين الكلام بالأساس، وتزيينه بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة جاء بالطبع مؤخرًا ودخل تحت علم البديع، هذا هو الفرق بين المعاني والبيان والبديع.

كذلك نخلص من كل ما سبق إلى أن ذلك لا يعني انفصال هذه العلوم بعضها عن بعض، إذ ما من ضرب من هذه الضروب إلا وهو إذا وقع على الصواب، وعلى ما ينبغي أوجب الفضل والمزية، كما أن ثمة عاملاً مشتركاً يجمع بين علم المعاني المعني بالأساليب، وعلم البيان هو المعني بطرق إيرادها، يتمثل هذا العامل المشترك إلى جانب حسن الدلالة وإحداث المزية التي بها يتفاضل كلام على كلام، يتمثل في أن كلاً يبحث بطريق غير الآخر عما وراء دلالات الألفاظ الوضعية، وفيما يتصل بخصائص القول التي تعود على المعاني.

وأهمّ مسائل علم البيان:

التشبيه - الكناية - المجاز (بنوعيه اللغوي (استعارة - مجاز مرسل)، والمجاز العقلي).

وسنقتصر على التفصيل في الفنّ الأوّل وهو فنّ التشبيه.

المحاضرة الثالثة: التشبيه مفهومه وأقسامه

تمهيد

للتشبيه: روعة وجمال، وموقع حسن في البلاغة: وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدناؤه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحا ويكسبها جمالا وفضلا، ويكسوها شرفا ونبلا، فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتد الحواشي متشعب الأطراف متوعر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى غزير الجدوى.

ومن أساليب البيان: أنك إذا أردت إثبات صفة لموصوف، مع التوضيح، أو وجه من المبالغة، عمدت إلى شيء آخر، تكون هذه الصفة واضحة فيه، وعقدت بين الاثنين مماثلة، تجعلها وسيلة لتوضيح الصفة، أو المبالغة في اثباتها _ لهذا كان التشبيه أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى.

أولا: تعريف التشبيه وبيان أركانه الأربعة

التشبيه: لغة التمثيل - يقال: هذا شبه هذا: ومثيله

والتشبيه: إصطلاحا - عقد مماثلة بين أمرين، أو: أكثر، قصد إشراكهما في صفة أو أكثر، بأداة لغرض يقصده المتكلم.

وأركان التشبيه أربعة.

(1) المشبه: هو الأمر الذي يراد إلحاقه بغيره

(2) المشبه به: هو الأمر الذي يلحق به المشبه

(3) وجه الشبه: هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به، أقوى منه في المشبه - وقد يذكر وجه الشبه في الكلام، وقد يحذف كما سيأتي توضيحه.

(4) أداة التشبيه: هي اللفظ الذي يدل على التشبيه، ويربط المشبه بالمشبه به، وقد تذكر الأداة في التشبيه، وقد تحذف، نحو: كان عمر في رعيته كالميزان في العدل، وكان فيهم كالوالد في الرحمة والعطف.

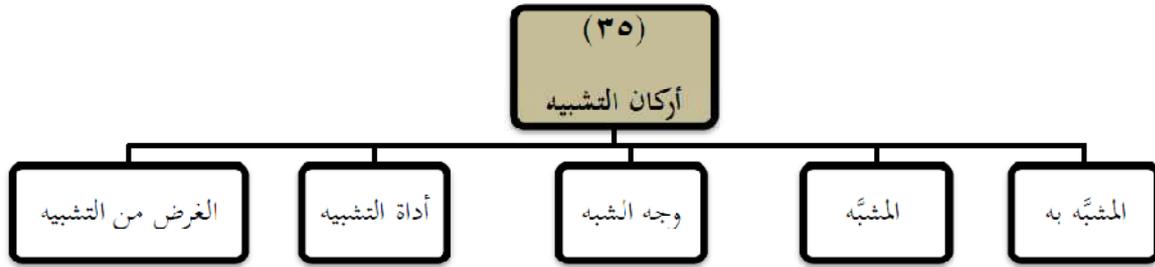
مثال عن التشبيه وبيان أركانه الأربعة:

لك شعر مثل حظي في سواد قد تتنى

مشبه أداة مشبه به وجه الشبه

وخيل تحاكي البرق لونا وسرعة وك الصخر إذ تهوى وك الماء في الجري

مشبه أداة مشبه به وجه الشبه أ م به و ش أ م به و ش



أسئلة للتقويم الذاتي:

- بَيِّنْ أركان التشبيه فيما يأتي:
- أَنْتِ كَالْبَحْرِ فِي السَّمَاحَةِ وَالشَّمْسُ سِ عُلُوًّا وَالْبَدْرُ فِي الْإِشْرَاقِ
- الْعُمُرُ مِثْلُ الضَّيْفِ أَوْ كَالطِّيفِ لَيْسَ لَهُ إِقَامَةٌ
- كَلَامُ فُلَانٍ كَالشَّهْدِ فِي الْحَلَاوَةِ
- النَّاسُ كَأَسْنَانِ الْمِشْطِ فِي الْإِسْتِوَاءِ.
- قَالَ أَعْرَابِيٌّ فِي رَجُلٍ: مَا رَأَيْتُ فِي التَّوَقُّدِ نَظْرَةً أَشْبَهَ بِلَهَيْبِ النَّارِ مِنْ نَظْرَتِهِ.
- وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ فِي وَصْفِ رَجُلٍ: كَانَ لَهُ عِلْمٌ لَا يَخَالِطُهُ جَهْلٌ، وَصِدْقٌ لَا يَشُوْبُهُ كَذِبٌ، وَكَانَ فِي الْجُودِ كَأَنَّهُ الْوَيْلُ عِنْدَ الْخَلِي.

ثانياً: أقسام التشبيه

ينقسم التشبيه إلى أقسام عديدة حسب الجهة المتصورة، فتارة باعتبار طرفيه (المشبه والمشبه به)، أو باعتبار الأداة، أو باعتبار وجه الشبه.

المبحث الأول: في تقسيم طرفي التشبيه إلى حسي وعقلي

يكون طرفا التشبيه «المشبه، والمشبه به» :

1- إما حسيين: أي مدركان بإحدى الحواس الخمس الظاهرة.

نحو: أنت كالشمس في الضياء (المشبه: شخص، المشبه به: الشمس، وهما مشاهدان بحاسة البصر)

ومثل: رائحة الزهور كالمسك في الطيب (المشبه: رائحة الزهور، المشبه به: المسك، وهما مشمومان بحاسة الشم)

2 - وإما عقليين: أي مدركان بالعقل فقط فلا أثر لهما ملموسا في الواقع

نحو: العلم كالحياة (العلم والحياة معنويان لا حسيان)

ومثله: «الضلال عن الحق كالعمى» ونحو: «الجهل كالموت» .

3- وإما المشبه حسي والمشبه به عقلي - نحو: طيب السوء كالموت. (فالمشبه طيب السوء

حسي، والموت مشبه به وهو عقلي)

4- وإما المشبه عقلي والمشبه به حسي: - نحو - العلم كالنور (المشبه العلم وهو عقلي، المشبه

به النور وهو حسي).

ملاحظة: اعلم أن العقلي هو ما عدا الحسي، فيشمل:

المحقق ذهنياً: كالرأي والخلق، والحظ، والأمل والعلم. والعلم، والذكاء والشجاعة.

الوهمي، وهو ما لا وجود له، ولا لأجزائه كلها، أو بعضها في الخارج (الواقع)، ولو وجد لكان مدركاً بإحدى الحواس.

الوجداني: وهو ما يدرك بالقوى الباطنة، كالغم، والفرح، والشبع والجوع، والعطش، والري.

المبحث الثاني في تقسيم طرفي التشبيه: باعتبار الأفراد، والتركيب

طرفا التشبيه «المشبه، والمشبه به» :

1- إما مفردان:

مطلقان نحو: ضوءه كالشمس، وخطه كالورد

مقيدان نحو: الساعي بغير طائل كالراقم على الماء (المشبه والمشبه به مقيدان بالجار والمجرور).
ملاحظة: تقييد المشبه والمشبه به بالإضافة، أو الوصف، أو المفعول، أو الحال، أو الظرف، أو بغير ذلك ويشترط في القيد: أن يكون له تأثير في وجه الشبه، نحو التعلم في الصغر كالنقش في الحجر.
أو مختلفان نحو: ثغره كاللؤلؤ المنظوم (المشبه مطلق والمشبه به مقيد) - ونحو: العين الزرقاء كالسنان (المشبه هو المقيد والمشبه به مطلق).

2- وإما مركبان: تركيباً لم يمكن أفراد أجزائهما، بحيث يكون المركب هيئة حاصله من شيئين، أو من أشياء، تلاصقت حتى اعتبرها المتكلم شيئاً واحداً، وإذا انتزع الوجه من بعضها دون بعض، اختل قصد المتكلم من التشبيه - كقوله:

كأن سهيلاً والنجوم وراءه --- صفوف صلاة قام فيها إمامها

(إذ لو قيل كأن سهيلاً إمام، وكأن النجوم صفوف صلاة، لذهبت فائدة التشبيه).
أو مركبان تركيباً: إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة (المشبه به) كما ترى في قول الشاعر الآتي:

وكان أجرام النجوم لوامعاً --- درر نثرن على بساط أزرق

حيث شبه النجوم اللامعة في كبد السماء بدرّ منتشر على بساط أزرق.
(إذ لو قيل: كأن النجوم درر - وكان السماء بساط أزرق، كان التشبيه مقبولاً - لكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به).

3- وإما مفرد بمركب: كقول الخنساء:

أغر أبلج تأتم الهداة به --- كأنه علم في رأسه نار

(المشبه هو صخر (أخ الخنساء) وهو مفرد، والمشبه به صورة مركبة من جبل وفي قمته نار تدل على كرم).

4- وإما مركب بمفرد: نحو: الماء المالح كالسم (المشبه هو الماء المالح وهو مركب، والمشبه به السم وهو مفرد).

المبحث الثالث في تقسيم طرفي التشبيه: باعتبار تعددهما

ينقسم طرفا التشبيه «المشبه والمشبه به» باعتبار تعددهما، أو تعدد أحدهما، إلى أربعة أقسام: ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع.

1- **فالتشبيه الملفوف**: هو جمع كل طرف منهما مع مثله، كجمع المشبه مع المشبه، والمشبه به مع المشبه به - بحيث يؤتى بالمشبهات معا على طريق العطف، أو غيره، ثم يؤتى بالمشبهات بها كذلك كقوله: **تسّم وقطوب في ندى ووغى --- كالغيث والبرق تحت العارض البرد** (المشبه في الشطر الأول يقابله المشبه به بلونه الخاص به في الشطر الثاني) وكقوله: **وضوء الشهب فوق الليل باد --- كأطراف الأسنة في الدروع**

2- **التشبيه المفروق**: هو جمع كل مشبه مع ما شبه به - كقوله

النشر مسك والوجه دنا نير وأطراف الأكف عنم

3- **تشبيه التسوية**: هو أن يتعدد المشبه دون المشبه به

كقوله: **صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي وثغره في صفاء وأدمعي كاللالي**

سمى بذلك: (للتسوية فيه بين المشبهات)

4- **تشبيه الجمع**: هو أن يتعدد المشبه به دون المشبه كقوله:

كأنما **يسم** عن **لؤلؤ** منضد أو **برد** أو **أقح**

سمى بتشبيه الجمع - للجمع فيه بين ثلاث مشبهات بها وكقوله:

وكقوله:

ذات حسن لو استزادت من الحسن إليه لما أصابت مزيدا

فهى الشمس بهجة والقضيب اللدن قدا والريم طرفا وجيدا

المبحث الرابع في تقسيم التشبيه باعتبار أدواته

ينقسم التشبيه باعتبار أدواته إلى:

1- التشبيه المرسل: وهو ما ذكرت فيه الأداة، كقول الشاعر:

إنما الدنيا كبيت نسجه من عنكبوت

2- التشبيه المؤكد: وهو ما حذفته منه أدواته، نحو: يسجع سجع القمري -

وكقول الشاعر: أنت نجم في رفعة وضياء --- تحتليك العيون شرقا وغربا

م م.م به وجه .ش

ومن المؤكد: ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه، كقول الشاعر:

والريح تعبت بالغصون وقد جرى --- ذهب الأصيل على لجين الماء

أي أصيل كالذهب على ماء كاللجين.

والمؤكد أوجز، وأبلغ، وأشد وقعا في النفس، أما أنه أوجز فلحذف أدواته، وأما أنه أبلغ فلإيهامه

أن المشبه عين المشبه به.

المبحث الخامس في تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشبه

ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى مجمل مفصل:

1- فالمجمل: هو الذي لم يذكر فيه وجه الشبه، وهو قسمان:

- ظاهر يفهمه كل أحد كأن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجهه والحلقة في وجهه آخر، وكقوله:

إنما الدنيا كبيت ... نسجته العنكبوت

- خفي لا يعرف المقصود منه ببديهة السمع، بل يحتاج إلى تأويل كقول كعب بن معدان الأشعري في وصف بني المهلب "هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها"، فهذا يحتاج إلى فضل تأمل ورفق، ولا يفهمه إلا من ارتفع عن طبقة العامة ودخل في عداد الخاصة.

2- والمفصل: ما ذكر فيه وجه الشبه أو ذكر فيه مكان الوجه أمر يستلزمه.

فالأول نحو:

يا هلالا يدعي أبوه هلالا ... جلّ باريك في الورى وتعالى

أنت بدر حسنا وشمس علوا ... وحسام حزما وبحر نوالا

والثاني كقولهم للألفاظ إذا وجدوها لا تثقل على اللسان ولا تبعد دلالتها على معانيها، وهي كالعسل حلاوة، وكالماء سلاسة، وكالنسيم رقة.

والجامع في الحقيقة لازم الحلاوة، وهو ميل الطبع ولازم السلاسة والرقّة، وهو نشاط النفس وانتعاشها.

وقد تحذف الأداة ووجه الشبه فيسمى التشبيه عندئذ تشبيها بليغا.

وسمي بليغا لأنه بلغ درجة القبول لحسنه، أو الطيب الحسن فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور، يحتاج في إداركه إلى أعمال الفكر كان ذلك أفعل في النفس: وأدعى إلى تأثرها واهتزازها، لما هو مركز في الطبع، من أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وموقعه في النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف، وما أشبه هذا الضرب من المعاني، بالجواهر في الصدف، لا يبرز إلا أن تشقه عينه. وسبب هذه التسمية أيضا: أن ذكر (الطرفين) فقط، يوهم اتحادهما، وعدم تفاضلها، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه ولهذا التشبيه البليغ هو ما حذف فيه أداة التشبيه، ووجه الشبه نحو

فاقضو مآربكم عجالا إنما --- أعماركم سفر من الأسفار

ونحو: عزماتهم قضب وفيض أكفهم --- سحب وبيض وجوههم أقمار

التشبيه :	عقد مماثلة بين شيئين أو أكثر، وإرادة اشتراكهما في صفة أو أكثر، بإحدى أدوات التشبيه (الكاف، كأن، مثل، شبه...)، لغرض يريد المتكلم.
أركان التشبيه :	أربعة، هي: المشبهُ، والمشبهُ به، ويسميان طَرِيحَ التشبيه، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبهُ به منه في المشبهُ، مثل: حاتم في الجود كأنه الويل عند المخل.
أقسام التشبيه :	١- التشبيه المرسل ما ذكرت فيه الأداة، مثل: ألا إنما الدنيا كمنزل راكب أناخ عشياً وهو في الصباح يرحل
	٢- التشبيه المؤكد ما حذفته منه الأداة، مثل: المال سيفٌ نضعا وضراً، وسمي «مؤكداً» لإيهامه أن المشبه عين المشبه به.
	٣- التشبيه المجمل ما حذف منه وجه الشبه، مثل: العالم سراج أمته.
	٤- التشبيه المفصل ما ذكر فيه وجه الشبه أو ملزومه، مثل: العمر مثل الضيف ليس له إقامة، وكقولك للكلام الفصيح: هو كالعسل حلوة.
	٥- التشبيه البليغ ما حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، وسمي بليغاً لما فيه من مبالغة في اعتبار المشبه عين المشبه به، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

أسئلة للتقويم الذاتي:

بيِّن كلَّ نوع من أنواع التشبيه فيما يأتي:

- قال المتنبي:

إِنَّ السَّيْفَ مَعَ الَّذِينَ قَلْبُهُمْ --- كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا التَّقَى الْجَمْعَانِ
تَلْقَى الْحُسَامَ عَلَى جِرَاءَةٍ حَدِّهِ --- مِثْلَ الْجَبَانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانٍ

- قال في المديح:

فَعَلَّتْ بِنَا فِعْلَ السَّمَاءِ بِأَرْضِهِ --- خَلَعُ الْأَمِيرِ وَحَقُّهُ لَمْ نَقْضِهِ

- وقال:

لَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيُّ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرْمَرُمُ

- وقال:

إِذَا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مُلِمَةٍ --- كَفَاهَا فَكَانَ السَّيْفَ وَالْكَفَّ وَالْقَلْبَا

- قال صاحبُ كَلِيلَةِ وِدْمَنَةٍ: الرَّجُلُ ذُو المَرْوَةِ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ كَالْأَسَدِ يُهَابُ وَإِنْ كَانَ رَابِضاً

- المَالُ سَيْفٌ نَفْعاً وَضَرّاً.

- قال تعالى: {وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ}

- قال تعالى: {. فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} (7) سورة الحاقة

- قال البُحْثَرِيُّ فِي المَدِيحِ:

ذَهَبَتْ جِدَّةُ الشِّتَاءِ وَوَأَفَا --- نَا شَبِيهَا بِكَ الرَّبِيعِ الجَدِيدُ

وَدَنَا العِيدُ، وَهُوَ لِلنَّاسِ --- حَتَّى يَتَقَصَّى، وَأَنْتَ للعِيدِ عِيدُ

المبحث السادس في التشبيه على غير طرقة الأصلية

1- التشبيه الضمني

هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلصق المشبه والمشبه به، ويفهمان من المعنى، ويكون المشبه به دائما برهانا على إمكان ما أسند إلى المشبه، كقول المتنبي

من يهن يسهل الهوان عليه --- ما لجرح بميت إيلام

(أي إن الذي اعتاد الهوان، يسهل عليه تحمله، ولا يتألم له، وليس هذا الادعاء باطلا (لأن الميت إذا جرح لا يتألم) ، وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة، وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة، بل انه (تشابه) يقتضي التساوي، وأما (التشبيه) فيقتضي التفاوت.

2- التشبيه التمثيلي:

وهو ما كان وجه الشبه فيه وصفا منتزعا من متعدد: - حسيا كان أو غير حسي، كقوله:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه --- يوافق تمام الشهر ثم يغيب

فوجه الشبه سرعة الفناء - انتزاعه الشاعر من أحوال القمر المتعددة إذ يبدو هلالا، فيصير بدرا، ثم ينقص حتى يدركه الحاق.

ومثله: وما الموت إلا سارق دق شخصه --- يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

إذن يسمى التشبيه تمثيلا إذا كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، وغير تمثيل إذا لم يكن وجه الشبه كذلك.

3- التشبيه المقلوب

قد يعكس التشبيه، فيجعل المشبه مشبها به - وبالعكس

فتعود فائدته إلى المشبه به، لادعاء أن المشبه أتم وأظهر من المشبه به في وجه الشبه - ويسمى ذلك (بالتشبيه المقلوب) أو المعكوس - نحو:

كأن ضوء النهار جبينه - ونحو: كأن نشر الروض حسن سيرته - ونحو: كأن الماء في الصفاء طباعه - وكقول محمد بن وهيب الحميري:

وبدا الصباح كأن غرته --- وجه الخليفة حين يمتدح

(شبه غرة الصباح، بوجه الخليفة، إجمالا أنه أتم منها في وجه الشبه)

وكقول البحترى في وصف بركة المتوكل:

كأنها حين لجت في تدفقها يد الخليفة لما سال واديتها

وهذا التشبيه مظهر من مظاهر الافتنان والإبداع، كقوله تعالى حكاية عن الكفار (إنما البيع مثل الربا) في مقام أن الربا مثل البيع عكسوا ذلك لإيهام أن الربا عندهم أحل من البيع، لأن الغرض الربح وهو أثبت وجودا في الربا منه في البيع، فيكون أحق بالحل عندهم.

١- التشبيه الصريح	ما تقدم من التشبيه المتعارف عليه، مما ليس ضمنياً ولا مقلوياً.
٢- التشبيه الضمني	ما لم يصرح فيه بأركان التشبيه على الطريقة المعلومة، بل يُفهم من معنى الكلام، مثل: مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِيُجْرَحَ بِمَيِّتٍ إِيْلَامٌ
٣- التشبيه المقلوب	تشبيه يتم فيه عكس طرفي التشبيه، بجعل المشبه مشبهاً به، بقصد المبالغة، مثل: كأن ضوء النهار جبيته.
٤- التشبيه التمثيلي	ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، مثل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾.

تقسيمات أخرى للتشبيه

أسئلة للتقويم الذاتي:

1 - بين نوع التشبيه وأركانه فيما يأتي:

قال تعالى: {إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون}. (24) سورة يونس
قال ابن المعتز يصف السماء بعد تقشع سحابة:

كأن سماءها لما تجلت ... خلال نجومها عند الصباح
رياض بنفسج خضل ثراه ... تفتح بينه نور الأفاح

وقال ابن الرومي:

ما أنس لا أنس خبازا مررت به ... يدحو الرقاقة وشك اللحم بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة... وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة... في صفحة الماء ترمى فيه بالحجر

قال أبو العتاهية :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس

وقال في المشيب:

أول بدء المشيب واحدة... تشعل ما جاورت من الشعر
مثل الحريق العظيم تبدو... أول صول صغيرة الشرر

وقال أبو فراس:

سيدكرني قومي إذا جد جدهم ... " وفي الليلة الظلماء ، يفتقد البدر "

2- حول التشبيهات الضمنية الآتية إلى تشبيهات صريحة:

قال ابن المعتز:

اصبر على مضمض الحسو... د فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها... إن لم تجد ما تأكله

وقال أبو تمام:

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا... إن السماء ترجى حين تحتجب

وقال أبو الطيب:

فإن تفق الأنام وأنت منهم... فإن المسك بعض دم الغزال

وقال أيضا:

أعيا زوالك عن محل نلته... لا تخرج الأقمار عن هالاتها

3- لم كان التشبيه مقلوبا فيما يأتي؟

قال ابن المعتز:

والصبح في طرة ليل مسفر... كأنه غرة مهر أشقر

وقال أيضا في وصف بركة المتوكل

كأنها حين لجت في تدفقها... يد الخليفة لما سال واديها

- سارت بنا السفينة في بحر كأنه جدواك، وقد سطع نور البدر كأنه جمال محياك.

4- ميز التشبيه المقلوب من غير المقلوب فيما يأتي وبين الغرض من كل تشبيه:

- كأن سواد الليل شعر فاحم.

- قال أبو الطيب:

يزور الأعادي في سماء عجاجة --- أسنته في جانبيها الكواكب

- كأن النبل كلامه وكأن الوبل نواله.

5- حول التشبيهات المقلوبة الآتية إلى تشبيهات غير مقلوبة:

- ركبنا قطارا كأنه الجواد السباق.
- ظهر الصبح كأنه حجتك الساطعة.
- فاح الزهر كأنه ذكرك الجميل.
- تقلد الفارس سيفاً كأنه عزيمته يوم النزال.

المبحث السابع في فوائد التشبيه

الغرض من التشبيه والفائدة منه غالباً هي **الإيضاح والبيان** ويرجع ذلك الغرض إلى المشبه - وهو إما:

- 1- **بيان حاله:** وذلك حينما يكون المشبه مبهماً غير معروف الصفة، التي يراد إثباتها له قبل التشبيه، فيفيده التشبيه الوصف، ويوضحه المشبه به، نحو شجر النارج كشجر البرتقال.
- 2- **بيان إمكان حاله:** وذلك حين يسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له، معروف واضح مسلم به، ليثبت في ذهن السامع ويتقرر - كقوله:

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم

(شبه نظرها: بوقع السهام، وشبه إعراضها بنزعها: بيانا لإمكان إيلاهما بما جميعاً)

- 3- **أو بيان مقدار حال المشبه في القوة والضعف،** وذلك إذا كان المشبه معلوماً، معروف الصفة التي يراد إثباتها له معرفة اجمالية قبل التشبيه بحيث يراد من ذلك التشبيه بيان مقدار نصيب المشبه من هذه الصفة وذلك بأن يعتمد المتكلم لأن يبين للسامع ما يعنيه من هذا المقدار - كقوله:

كأن مشيتها من بيت جاريتها --- مر السحاب لا ريث ولا عجل

وكتشيبه: الماء بالثلج، في شدة البرودة - وكقوله:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة --- سودا كخافية الغراب الأسحم

(شبه النياق السود، بريش الغراب، بيانا لمقدار سوادها، فالسواد صفة مشتركة بين الطرفين)

- 4- **أو تقرير حال المشبه، وتمكينه في ذهن السامع،** بإبرازها فيما هي فيه أظهر ، كما إذا كان ما أسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت والإيضاح فتأتى بمشبه حسى قريب التصور، يزيد معنى المشبه إيضاحاً، لما في المشبه به من قوة الظهور والتمام، نحو:

هل دولة الحسن إلا كدولة الزهر --- وهل عمر الصبا إلا أصيل أو سحر

وكقوله:

إن القلوب إذا تنافر ودها --- مثل الزجاج كسرهما لا يجبر

(شبه تنافر القلوب، بكسر الزجاج، تشبيهاً لتعذر عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأنس والمودة)

5- أو بيان إمكان وجود المشبه، بحيث يبدو غريبا يستبعد حدوثه والمشبه به يزيل غرابته، ويبين أنه ممكن الحصول، كقوله:

فإن تفق الأنام وأنت منهم --- فإن المسك بعض دم الغزال

6- أو مدحه وتحسين حاله، ترغيبا فيه، أو تعظيما له، بتصويره بصورة تهيج في النفس قوى الاستحسان، بأن يعمد المتكلم إلى ذكر مشبه به معجب، قد استقر في النفس حسنه ووجهه، فيصور المشبه بصورته، كقوله:

وزاد بك الحسن البديع نضارة --- كأنك في وجه الملاحه خال

ونحو: كأنك شمس والملوك كواكب --- إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وكقوله: له خال على صفحات خد --- كنقطة عنبر في صحن مرمر

7- أو تشويه المشبه وتقييحه، تنفيرا منه أو تحقيرا له، بأن تصوره بصورة تمجها النفس، ويشمئز منها الطبع، كقوله: وإذا أشار محدثا فكأنه --- قرد يقهقه أو عجوز تلطم

وكقوله: وترى أناملها دبت على مزمارها --- كخنافس دبت على أوتار

8- أو استطرافه «أي عده طريفا حديثا» بحيث يجيء المشبه به طريفا، غير مألوف للذهن. إما لإبرازه في صورة الممتنع عادة، كما في تشبيهه:

وكأن محمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر ... ن على رماح من زبرجد

وإما لندور حضور المشبه به في الذهن عند حضور المشبه، كقوله:

أنظر إليه كزورق من فضة --- قد أثقلته حمولة من عنبر

المحاضرة الرابعة: علم البديع مفهومه وأقسامه

أولاً: نشأة علم البديع، ومراحل تطوره

من المعلوم بالبداية أن الأدب العربي جاء منذ الجاهلية صورة حية لحياة العرب وصدقهم في نقل مشاعرهم وأحاسيسهم، كما جاء معبراً عن طبيعة القوم وميلهم إلى الاسترسال والطبع، والبعد عن التكلف والصنعة، فهو يصور البداوة وما فيها من خشونة وشظف ورعونة واضطراب، وما فيها من رقة المشاعر وإرهاق الملكات ودقة الحس، فأدبهم مرآة صادقة انعكست عليها أخلاقهم، وتمثلت فيها حقيقة حالهم، ولذا كان له سحر أخذ بالألباب وبالعقول، فهم إذا خطبوا أثاروا المشاعر وأيقظوا الوجدان وألهبوا النفوس، وإذا نظموا القصيد أخذوا بمجامع القلوب وسحروا الألباب والأفئدة، سالكين أقرب السبل لا يتعملون ولا يتكلفون ولا يتأنقون.

يقول **الجاحظ**: كل شيء للعرب إنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجمالة فكرة ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف همه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام، أو حين يمنح على رأس بشر أو يحدو ببعير، فما هو إلا أن يصرف همه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني إرسالاً، وتنتال عليه الألفاظ انثيالاً.

وعلى الرغم من وجود طائفة من الشعراء عنوا بشعرهم وحرصوا على تجويده، فلا يخرج على الناس إلا بعد تثقيفه وتهذيبه، فإن حرص هؤلاء وعنايتهم ليست إلا إعادة نظر في الشعر بعد إنشائه، حتى إنهم كانوا يدعون القصيدة تمكث عندهم حولاً كاملاً يرددون فيها النظر ويقبلون فيها الرأي، فلم يخرج صنيعهم هذا عن دائرة الطبع. وكان من هؤلاء زهير والنابعة والحطيئة وأطلق عليهم اسم عبيد الشعر.

وانسياق الشعراء مع الطبع ونبتهم التكلف جعلهم لا يهتمون بالصنعة البديعية، فلم يتعمدوا جناساً ولم يقصدوا إلى تورية ولم يتكلفوا طباقاً ولم ينقبوا عن سجع، عدا طائفة من الكهان اشتهرت بحرصها على نوع من السجع أطلق عليه "سجع الكهان".

ومع ذلك قد كثر في أدبهم ألوان البديع التي جاءت عفواً من غير أن يعرفوا لها أسماءها التي أطلقت عليها فيما بعد، فقد جاء الطباق في قول امرئ القيس:

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود ... صخر حطه السيل من عل

وجاءت المشاكلة في قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلین

كما جاء اللف والنشر في قول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطبًا وبابسًا ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

وجاء التقسيم في قول زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نِفار أو جلاء

وجاءت المبالغة في قول المهلهل:

فلولا الريحُ أسمع من بحجر ... صليل البيض تفرع بالذكور

وكان بين حُجر هذه وبين مكان الوقعة التي يتكلم عنها المهلهل مسيرة عشرة أيام.

وجاء أيضًا في كلامهم تأكيد المدح بما يشبه الذم في قول النابغة مثلاً:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

وغير ذلك من الألوان التي تناثرت بكثرة، وكثرت أمثلتها في الشعر الجاهلي، ولم يقصد الشعراء إليها قصدًا وإنما جاءت عَفْوَ الخاطر دون تعمل أو تكلف. ولما جاء الإسلام ونزل القرآن الكريم كان للدين الجديد والقرآن الكريم أثرهما الذي لا يجحد على عواطف العرب ومشاعرهم، وجميع مناحي حياتهم، فهدأ عواطفهم الثائرة، وأرهم مشاعرهم وتشربت جوانب حياتهم روح القرآن ومعانيه، ولا عجب إذا ظهر أثر القرآن ومعانيه وروحه في أدبهم، فهو الآية والغاية وإليه المنتهى في بلاغة القول.

ومن آثاره في أدباء العرب: أن جاء شعرهم مهذبًا في لفظه وأساليبه، فرقت الألفاظ وأحكمت الأساليب، فضلاً عن المعاني والأغراض التي دارت حول الدعوة وصاحبها، وحول القرآن الكريم الذي أدهشهم ومَلَك عقولهم، وإن كان الطابع العام للشعر الإسلامي بقي كما كان في العصر الجاهلي، فلم يبتكر شعراء الإسلام مذهبًا جديدًا في الشعر، كما بقيت الصناعة اللفظية كما هي موضع اهتمام القوم دون عمل أو استكراه. ولو فتشنا عن ألوان البديع في هذا العصر لوجدنا أن القرآن الكريم اشتملت آياته على كثير من الألوان البديعية، التي جاءت في أعلى درجات الروعة والجمال.

فمن **الطباق** جاء قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ} (آل عمران: 26) ومن **المقابلة** قوله: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا} (التوبة: 82) ومن **مراعاة النظر** جاء قوله: {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ} (الرحمن: 5، 6) ومن **الإرصاد** قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (العنكبوت: 40) وغير ذلك كثير في القرآن الكريم.

وفي أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- جاءت المقابلة الرائعة في قوله مثلاً -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه: ((إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع)) وجاء العكس والتبديل في قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((جار الدار أحق بدار الجار)) وجاء الجمع في قوله: ((مَنْ أصبح آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)).

وهذا قليل من كثير من الألوان البديعية التي زخر بها الحديث النبوي الشريف. كما جاء الأدب الإسلامي شعره ونثره، وقد تناثرت فيه ألوان البديع التي جاءت على سجية القوم وفطرتهم، ولا غرابة أن تبقى الفطرة العربية الخالصة هي المسيطرة وهي الموجهة، فالقوم ما زالوا يعتزون بعروبيتهم ويفخرون بها، ولا تزال الصحراء هي مقام الكثيرين منهم، ولم يكن قد بعد عهدهم بها، كما كانوا يأنفون من مخالطة غيرهم من الأعاجم.

فمن ألوان البديع العكس والتبديل في قول عبد الله بن الزبير:

فردَّ شعورهن السود بيضاً ... ورد وجوههن البيض سوداً

والطباق في قول الفرزدق:

لعن الإله بني كليب إنهم ... لا يغدرون ولا يفنون لجار

يستيقظون على نحيق حمارهم ... وتنام أعينهم عن الأوتار

وجاء الجناس في قول جرير:

وما زال معقولاً عقال عن الندى ... وما زال محبوباً عن المجد حابس

والإرصاد في قول عدي بن الرقاع:

تسحي أغنك أن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها

وجاء التقسيم في قول قتيبة بن مسلم الباهلي:

مَنْ كان في يده من مال عبد الله بن حازم شيء فلينبذه، وإن كان في فمه فليلفظه، وإن كان في صدره فلينفثه.

ومنه قول أعرابي وقف على مجلس الحسن البصري فقال: رحم الله عبداً أعطى من سعة أو آسى من كفاف أو آثر من قلة، فقال الحسن: ما ترك لأحد عذراً.

وغير ذلك من الألوان البديعية التي كثرت كثرة فائقة في الأدب الإسلامي، لكنها -كما أشرنا- لم تأت عن تعمل أو تكلف، ولكنها سايرت الطبع العربي السليم والفطرة النقية المستقيمة.

ثم أخذت الحياة العربية تسير بخطى واسعة، وتقفز قفزات سريعة، فما أن جاءت الدولة العباسية حتى وجد العرب أمامهم أبواباً من الرفاهية والترف والحضارة صبغت حياتهم بصبغة جديدة، ووجدوا أمامهم علوم الأمم التي فتحوها وثقافات تلك الأمم، فانكبوا عليها يحصلونها جادين متلهفين، كما زاولوا صناعات تلك الأمم ومهاراتهم ونقلوها عنهم، كل ذلك جعلهم في أسمى درجات الحضارة وفي أرفع قيم المدنية، فعم الأمن وكثر الخير وتعددت مناحي الرزق، فرتعوا في ببحوحة العيش، ورفلوا في أبهى أنواع الحلل، وارتدوا الخز والديباج، واستبدلوا بالعباءة المطارف والغلائل.

كما تغيرت أصول عاداتهم وأخلاقهم، ففسحا المجون وانتشرت الزندقة، وشاع الجهر بالفسق وتعدت الحياة العربية، وطغت عليها أساليب المدنية والتحضر، والشعر كما هو معروف مرآة تنعكس عليها حياة الأمم، ولسان يترجم عن أحوالها وجوانب حياتها، ومن الطبيعي أن يتأثر الشعر بهذه الحياة الجديدة فيلبس حُللاً من الزخرف والزينة والتنميق، ونظر الشعراء في شعر أسلافهم الأقدمين، فوجدوا أن الأقدمين صرفوا همهم إلى المعاني، وكان لهم بها فضل عناية، فمعاني الفخر والمديح والغزل والرثاء وغيرها طُرقت منذ قرون، كما وجدوا أن الأقدمين سبقوا إلى الألفاظ القوية والعبارات الجزلة والأساليب المرضية، فصرفوا همهم إلى الصياغة ليلبسوها أبهى حلل البيان، وأسمى صفات الكلام، وذلك لا يتأتى إلا بالزخرف والزينة والبهرج والتوليد في المعاني، فكلفوا بها وتعمدوها.

وقصدوا إلى الشعر القديم يتمسون منه هذه الألوان، ويتفننون فيها، فاجتمع لهم منها الكثير من طباق إلى جناس إلى تورية إلى مشاكلة وغير ذلك، وأطلقوا على كل ذلك اسم البديع، وشتان بين هذه الألوان في شعر الأقدمين وشعر المحدثين، فقد جاءت في شعر الأقدمين تساير الطبع وتقع موقعها دون قصد لها أو تكلف، بينما جاءت في شعر المحدثين عن تعمد وقصد وتكلف.

قال صاحب (الوساطة): فلما أفضى الشعر إلى المحدثين ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللفظ، تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع، فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفرط، وأصبح البديع بذلك صنعة لها روادها من أمثال بشار بن برد ومسلم بن الوليد والعتابي ومنصور النمري وأبي نواس وأبي تمام والبحري وعبد الله بن المعتز، فقد كان الواحد من هؤلاء يقصد إلى تلك الأصباغ ويكثر منها في شعره، ولكنهم لم يكونوا سواء في تلك الصنعة من حيث الإقلال والإكثار والتسهيل والتوعر والطابع والاتجاه، فمنصور النمري من شعراء البديع استقى من بديع العتابي وذهب مذهبه وأرى عليه في المبالغة.

قال صاحب (الأغاني): كان منصور شاعرًا من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويته، وعنه أخذ ومن بجره استقى ومن مذهبه تشبهه، فمن طباقه ومبالغاته قوله يمدح الرشيد:

إذا رفعت أمرًا فالله يرفعه ... ومن وضعت من الأقوام متضع
من لم يكن بأمين الله معتصمًا ... فليس بالصلوات الخمس ينتفع
إن أخلف الغيث لم تخلف أنامله ... أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

طابق في البيت الأول بين الرفع والوضع، وفي الثالث بين الضيق والاتساع والاختلاف وعدمه، في أسلوب مسرف في المبالغة إسرافًا شديدًا، لا يجاوزه سوى قول أبي نواس في مدح الرشيد أيضًا وفيه المطابقة:

لقد اتقيت الله حق تقاته ... وجاهدت نفسك فوق جهد المتقي
وأخفت أهل الشرك حتى إنه ... لتخافك النطف التي لم تخلق
وبضاعة الشعراء إن أنفقتها ... نفقت وإن أكسبتها لم تنفق

طابق بين الإنفاق والإكساء في أسلوب يعتمد على المغالاة، وقد أذى هيام الشعراء بهذه الألوان وإفراطهم في تناولها إلى تركهم جانب المعاني، وعدم اكتراثهم بجزالة الألفاظ واستقامتها. مما حداً بكثير من علماء اللغة والأدب أن ينتصروا للقديم، وأن يتعصبوا له، وأن يقفوا في وجه كل جديد موقفاً متشددًا، مقللين من شأن ما يأتي به المحدثون، منكرين عليهم إكثارهم من ألوان البديع وكلفهم بها. وقد بالغ كثير من النقاد وعلماء اللغة في التعصب للقديم والميل إليه، حتى إن بعضهم كان يستحسن القديم لقدمه، ويستهجن المحدث لحداثته، دون نظر لعناصر الجمال أو التبحر في هذا أو ذاك.

وإلى جانب هذه الطائفة التي تعصبت للقديم، طائفة أخرى من الشعراء والنقاد تعصبوا للمحدثين، وانتصروا للبديع وعدوا الإكثار منه في الشعر تفننًا في ضروب القول ودليلاً على شاعرية الشاعر.

وعلى أي حال، فإن هذه المعركة بين أنصار القديم وأنصار الحديث لم تذهب أدرج الرياح، بل أثمرت ثمرة طيبة كان لها قيمتها في تاريخ هذا الفن، ذلك أن أحد المولعين بالأصباغ البديعية وهو الشاعر الخليفة عبد الله بن المعتز، المتوفى سنة 296، عن له أن يسجل ألوان البديع التي كثرت في الشعر، وأن يحولها إلى قواعد وأصول، فكان له ما أراد بكتابه الذي يعد بداية التأليف في هذا العلم وهو كتابه (البديع).

وتحول البديع بهذا المؤلف من أصباغ تتناثر في الشعر ويهتم بها الشعراء وحدهم إلى قواعد وأصول، يضمها كتاب مستقل، ويعضدها جامعها بالشواهد والأمثلة التي توضح معانيها، وتبين طرائقها، وكان الباعث على تأليف هذا الكتاب هو الدفاع عن أنصار البديع، وأن يثبت ابن المعتز أن هذه الألوان معروفة في العربية منذ القديم، وأن كثيراً منها ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وقد صرح بهذا الهدف في مقدمة كتابه بقوله: إنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع، وفي دون ما ذكرناه مبلغ الغاية التي قصدنا إليها.

ويذهب بعضهم إلى أن بديع ابن المعتز هو أول كتاب في البلاغة العربية بالمعنى الصحيح، حيث لم يجاوز في موضوعاته وفنونه دائرة البحث البلاغي، فكتاب (البديع) أثر من آثار (البيان والتبيين) للجاحظ. فقد كان ابن المعتز واحدًا من علماء اللغة والأدب الذين أثارهم بيان الجاحظ بعد أن وعوه وفهموه، فقدم لنا كتابه (البديع) وأودعه ثقافته البيانية، وما تأثر به من المسائل البيانية والبلاغية التي أثارها الجاحظ في كتابه. وقد استقصى ابن المعتز ما في الشعر من محسنات بديعية على ما أمكنه واتسع له وقته وهُدي إليه، وأثبت ما جمعه في كتابه. فكان مجموع ما ذكره في هذا المؤلف سبعة عشر نوعًا من المحسنات، جعل منها الاستعارة والكناية وقال: ما جمع قبلي فنون البديع أحد ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف، ومن رأى أن يقتصر على ما اخترنا فليفعل، ومن رأى إضافة شيء من المحسن إليه فله اختياره.

ثم جاء معاصره قدامة بن جعفر الكاتب المتوفى سنة 237 فجمع منها عشرين نوعًا في كتابه (نقد الشعر) وقد توارد مع ابن المعتز على سبعة منها، وسلم له ثلاثة عشر، فتكامل لهما ثلاثون نوعًا. ثم اقتدى الناس بهما في التأليف في البديع، فأفرد أبو هلال العسكري المتوفى سنة 295 جزءًا من كتابه (الصناعتين) لألوان البديع، وكان غاية ما جمعه أبو هلال سبعة وثلاثين نوعًا، ثم جاء ابن رشيق القيرواني، المتوفى سنة 463 فجمع في كتابه (العمدة) مثلما جمع أبو هلال، وأضاف إليها ثلاثة وثلاثين بابًا في فضائل الشعر، وصفاته، وأغراضه، وعيوبه، وسرقاته، وغير ذلك من أنساب الشعراء وأحوالهم مما لا تعلق له بالبديع، ثم تلاه شرف الدين التيفاشي، المتوفى سنة 651 فبلغ بهذه الألوان السبعين، ثم تصدَّى للبديع الشيخ زكي الدين بن أبي الإصبع، المتوفى سنة 654 فأوصلها إلى التسعين، وأضاف إليها من مستخرجاته ثلاثين، سلم له فيها عشرون، وباقيها مسبوق إليه أو متداخل عليه، وكتابه المسمى (تحرير التحبير) أصبح كتاب ألف في هذا العلم؛ لأنه لا يتكل على النقل دون النقد، قد كان كثير النظر والتعليق لكل ما جمعه في كتابه من ألوان البديع.

ثم جاء صفى الدين الحلبي، المتوفى سنة 750 فأوصلها إلى مائة وأربعين، ونظم قصيدة ميمية في مديح المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وذكر في كل بيت من أبيات هذه المنظومة اسم نوع من أنواع المحسنات، وتسمى "بديعية"، ومن بعده جاء عز الدين الموصلبي، المتوفى سنة 789، فذكر مثلما ذكره صفى الدين، مع زيادة بعض الأنواع من ابتكاره.

وهكذا ارتقت المؤلفات في البديع وصارت قدمًا بألوان مختلفة وتفنن في التأليف وجمع للألوان والتمثيل لها، وزيدت الأنواع، وكثرت البديعيات، ولعل بديعية ابن حجة الحموي المتوفى سنة 837 تُعد أشهر هذه البديعيات، وقد شرحها في مؤلف كبير سماه (خزانة الأدب).

ثم جاء جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة 911 فابتكر في البديع عدة ألوان أوردها في كتابه (عقود الجمان)، وألف الشيخ عبد الرحمن الحميدي، المتوفى سنة 1005 هـ بديعية أسماها (تمليح البديع بمدح الشفيح) وله عليها شرح ومختصر، وقال: لقد زدت والحمد لله في بديعتي أنواعاً لم يسبقن الحلبي فيها ومتابعوه، ولا السيوطي ومتابعوه.

وكانت كثرة البديعيات كثرة فائقة سبباً للأسف في إسفافها وانحطاطها، وتجريد ألوان البديع من الروعة والرواة، سواء من الناحية الأدبية أو العلمية، أما الأدبية فقد هبطت بالشعر وجعلته في أحط درجاته، وأذهبت بمائه وصفائه، وأما من الناحية العملية فإنها ذهبت بالبديع مذاهب التشعيب والتخليط، فعاد عليها بالضعة والهوان عند ذوى الصفاء من البلغاء والمتأدبين.

ومن أبرز أصحاب البديعيات في العصر الحديث محمود الساعاتي، المتوفى سنة 1298 وعبد الهادي الأبياري، المتوفى سنة 1305. الشيخ عبد القاهر الطرابلسي، المتوفى سنة 1309 الشيخ طاهر الجزائري، المتوفى سنة 1341، وغيرهم كثير ممن كتبوا في ألوان البديع وبالغوا في جمعها واستقصائها.

ثانيا: تعريف البديع

البديع: لغة: المخترع الموجد على غير مثال سابق، وهو مأخوذ ومشتق من قولهم - بدع الشيء، وأبدعه، اخترعه لا على مثال.

واصطلاحا - هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتسكوه بهاء، ورونقا، بعد مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح دلالاته على المراد لفظا ومعنى.

يقول **الخطيب القزويني:** "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة وهذه الوجوه ضربان ضرب يرجع إلى المعنى وضرب يرجع إلى اللفظ".

ثالثا: أقسام المحسنات البديعية

يكاد يتفق البلاغيون على تقسيم المحسنات البديعية إلى: **محسنات لفظية، ومحسنات معنوية.**

و ممن سلك هذا الاتجاه التخصصي **الخطيب القزويني (ت 734 هـ)** في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة حيث أفرد القسم الثالث لعلم البديع الذي تضمن عنده:

1) المحسنات المعنوية: وتتضمن: المطابقة، المقابلة، مراعاة النظر، تشابه الأطراف، التفويف، الإحصاء، المشاكلة، الاستطراد، المزوجة، العكس، التورية، الاستخدام، اللف والنشر، الجمع، التفريق، التقسيم، الجمع مع التفريق، الجمع مع التقسيم، التورية، العكس، المزوجة، الاستطراد، المشاكلة، الجمع مع التقسيم، الجمع مع التفريق، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تأكيد الذم بما يشبه المدح، الاستتباع، التوجيه، الهزل الذي يراد به الجد، تجاهل العارف، القول بالموجب، الاطراد.

2) المحسنات اللفظية: فتتضمن: الجناس، ردّ العجز على الصدر، السجع، الموازنة، القلب، التشريع، لزوم ما لا يلزم، وأنهى الباب بكلام على شرط الحسن في البديع اللفظي.

أولاً: نماذج من المحسنات اللفظية:

1) الجناس:

الجناس أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى. وهو نوعان:

(أ) - تام : وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي: نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها. أمثلة:

قال تعالى: {ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون} (55) سورة الروم. - قال الشاعر في رثاء صغير اسمه يحيى:

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن ... إلى رد أمر الله فيه سبيل

تأمل الأمثلة السابقة تجد في كل مثال كلمتين تجانس إحداها الأخرى وتشاكلها في اللفظ مع اختلاف في المعنى؛ وإيراد الكلام على هذا الوجه يسمى جناسا.

ففي المثال الأول من الطائفة الأولى تجد أن لفظ "الساعة" مكرر مرتين، وأن معناه مرة يوم القيامة، ومرة إحدى الساعات الزمانية، وفي المثال الثاني ترى "يحيى" مكررا مع اختلاف المعنى. واختلاف كل كلمتين في المعنى على هذا النحو مع اتفاقهما في نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها يسمى جناسا تاما.

(ب) - غير تام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة من: نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها.

أمثلة:

قال تعالى: فأما اليتيم فلا تقهر (9) وأما السائل فلا تنهر (10) [الضحى/9-11].

وقال ابن الفارض:

هلا نَهَاكَ نَهَاكَ عن لوم امرئ ... لم يلف غير منعم بشقاء

- وقالت الخنساء من قصيدة ترثي فيها أخاها صخرًا:

إن البكاء هو الشفا ... من الجوى بين الجوانح

- وقال تعالى حكاية عن هرون يخاطب موسى عليهما السلام: {قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي} (94) سورة طه.

إذا تأملت كل كلمتين متجانستين في هذه الأمثلة رأيت أنهما اختلفتا في ركن من أركان الوفاق الأربعة المتقدمة، مثل تقهر وتنهر، ونهاك ونهاك. والجوى والجوانح، وبين وبني، على ترتيب الأمثلة، ويسمى ما بين كل كلمتين. هنا من تجانس جناسا غير تام.

2) السجع:

السجع هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وأفضله ما تساوت فقره.

الأمثلة:

- عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال « ما من يوم يصبح العباد فيه

إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا »

- وقال أعرابي ذهب بابنه السيل: اللهم إن كنت قد أبليت، فإنك طالما قد عافيت.

- الحر إذا وعد وفى، وإذا أعان كفى، وإذا ملك عفا.

إذا تأملت المثاليين الأولين وجدت كلا منهما مركبا من فقرتين متحدتين في الحرف الأخير، وإذا تأملت المثال

الثالث وجدته مركبا من أكثر من فقرتين متماثلتين في الحرف الأخير أيضا، ويسمى هذا النوع من الكلام

سجعا . وتسمى الكلمة الأخيرة من كل فقرة فاصلة، وتسكن الفاصلة دائما في النثر للوقوف.

ملاحظة: يسمى السجع في القرآن "الفاصلة القرآنية"، ويسمى في الشعر "التصريع".

3) الاقتباس:

هو تضمين النثر أو الشعر شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منهما، ويجوز

أن يغير في الأثر المقتبس قليلا.

أمثلة:

قال عبد المؤمن الأصفهاني:

لا تغرنك من الظلمة كثرة الجيوش والأنصار {إنما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار}.

وقال ابن سناء الملك :

رحلوا فلست مسائلا عن دارهم ... أنا "باخع نفسي على آثارهم "

وقال أبو جعفر الأندلسي الغرناطي:

لا تعاد الناس في أوطانهم ... قلما يرعى غريب الوطن

وإذا ما شئت عيشا بينهم ... "خالق الناس بخلق حسن "

العبارتان اللتان بين الأقواس في المثالين الأولين مأخوذتان من القرآن الكريم، والعبارة التي بين قوسين في المثال الثالث

من الحديث الشريف، وقد ضمن الكاتب أو الشاعر كلامه هذه الآثار الشريفة من غير أن يصرح بأنها من القرآن

أو الحديث وغرضه من هذا التضمين أن يستعير من قوتها قوة، وأن يكشف عن مهارته في إحكام الصلة بين كلامه والكلام الذي أحذه، وهذا النوع يسمى اقتباسا، وإذا تأملت رأيت أن المقتبس قد يغير قليلا في الآثار التي يقتبسها كالمثال الثاني إذ الآية: {فلعلك باخع نفسك على آثارهم}.

ثانيا: نماذج من المحسنات المعنوية:

1) الطباق

الطباق هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام، وهو نوعان:

(أ) **طباق الإيجاب**: وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا.

(ب) **طباق السلب**: وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا.

الأمثلة:

قال تعالى: {وتحسبهم **أيقاظا** وهم **رقود**} (4) (18) سورة الكهف .

وقال صلى الله عليه وسلم: "خير المال عين **ساهرة** لعين **نائمة**".

وقال تعالى: {يستخفون من الناس **ولا يستخفون** من الله ..} (108) سورة النساء.

وقال السموءل:

ونكر إن شئنا على الناس قولهم --- **ولا ينكرون** القول حين نقول

إذا تأملت الأمثلة المتقدمة، وجدت كلا منها مشتملا على شيء وضده، فالمثال الأول مشتمل على الكلمتين:

"**أيقاظا**" و "**رقود**" والمثال الثاني مشتمل على الكلمتين: "**ساهرة**" و "**نائمة**".

أما المثالان الأخيران فكل منهما مشتمل على فعلين من مادة واحدة أحدهما إيجابي والآخر سلبي، وباختلافهما في

الإيجاب والسلب صارا ضددين، ويسمى الجمع بين الشيء وضده في الأمثلة المتقدمة وأشباهها طباقا، غير أنه في

المثالين الأولين يدعى "طباق الإيجاب" وفي المثالين الأخيرين يدعى "طباق السلب".

2) المقابلة

المقابلة أن يؤتى بمعنيين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب.

الأمثلة

قال صلى الله عليه وسلم للأَنْصار: "إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع".

وقال خالد بن صفوان يصف رجلا: ليس له صديق في السر، ولا عدو في العلانية.

قال بعض الخلفاء: من أقعدته نكايه اللغام، أقامته إعانة الكرام.

وقال عبد الملك بن مروان : ما حمدت نفسي على محبوب ابتدأته بعجز، ولا لمتها على مكروه ابتدأته بحزم.

إذا تأملت مثالي الطائفة الأولى وجدت كل مثال منهما يشتمل في صدره على معنيين، ويشتمل في عجزه على ما يقابل هذين المعنيين على الترتيب، ففي المثال الأول بين النبي صلى الله عليه وسلم صفتين من صفات الأنصار في صدر الكلام وهما الكثرة والفرح، ثم قابل ذلك في آخر الكلام بالقلة والطمع على الترتيب، وفي المثال الثاني قابل خالد بن صفوان الصديق السر بالعدو والعلانية. انظر مثالي الطائفة الثانية تجد كلا منهما مشتملا في صدره على أكثر من معنيين، ومشتملا في العجز على ما يقابل ذلك على الترتيب، وأداء الكلام على هذا النحو يسمى مقابلة.

3 التورية :

التورية هي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان، قريب ظاهر غير مراد ، وبعيد خفي هو المراد.
الأمثلة

- قال سراج الدين الوراق :

أصون أديم وجهي عن أناس ... لقاء الموت عندهم الأديب
ورب الشعر عندهم بغيض ... ولو وافى به لهم "حبيب"

- وقال نصير الدين الحمامي :

أبيات شعرك كالقصر ... بور ولا قصور بما يعوق
ومن العجائب لفظها ... حر ومعناها "رقيق"

كلمة "حبيب" في المثال الأول لها معنيان: أحدهما المحبوب وهو المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن بسبب التمهيد له بكلمة "بغيض"، والثاني اسم أبي تمام الشاعر وهو حبيب بن أوس، وهذا المعنى بعيد. وقد أراد الشاعر ولكنه تلتطف فورى عنه وستره بالمعنى القريب. وكلمة "رقيق" في المثال الثاني لها معنيان: الأول قريب متبادر وهو العبد المملوك وسبب تبادره إلى الذهن ما سبقه من كلمة "حر"، والثاني بعيد وهو اللطيف السهل. وهذا هو الذي يريد الشاعر بعد أن ستره في ظل المعنى القريب.

4) حسن التعليل:

حسن التعليل : أن ينكر الأديب صراحة أو ضمنا علة الشيء المعروفة، ويأتي بعلة أدبية طريفة تناسب الغرض الذي يقصد إليه.
الأمثلة:

- قال المعري في الرثاء:

وما كلفة البدر المنير قديمة... ولكنها في وجهه أثر اللطم.

- وقال ابن الرومي:

أما ذُكَاءُ فلم تصفر إذ جنحت... إلا لفرقة ذاك المنظر الحسن

- وقال الصلاح الأربلي، معللا عدم نزول المطر بأرض مصر غالبا:

ما قصر الغيث عن مصر وتربتها... طبعا ولكن تعداكم من الخجل

ولا جرى النيل إلا وهو معترف... بسبقكم فلذا يجري على مهل

يرثي أبو العلاء في البيت الأول، ويبالغ في أن الحزن على المرثي شمل كثيرا من مظاهر الكون، فهو لذلك يدعي أن كلفة البدر وهي ما يظهر على وجهه من كدرة، ليست ناشئة عن سبب طبيعي، وإنما هي حادثة من اللطم على فراق المرثي.

ويرى ابن الرومي في البيت الثاني أن "ذكاء" وهي الشمس، لم تصفر عند الجنوح إلى المغيب للسبب الكوني المعروف عند العلماء، ولكنها اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح، وينكر الشاعر في البيت الثالث الأسباب الطبيعية لقلّة المطر بمصر، ويتلمس لذلك سببا آخر هو أن المطر يخجل أن ينزل بأرض يعمها فضل الممدوح وجوده، لأنه لا يستطيع مباراته في الجود والعطاء.

فأنت ترى في كل مثال من الأمثلة السابقة أن الشاعر أنكر سبب الشيء المعروف والتجأ إلى علة ابتكرها تناسب الغرض الذي يرمي إليه، ويسمى هذا الأسلوب من الكلام حسن التعليل .

5-6- تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه:

تأكيد المدح بما يشبه الذم ضربان:

(أ) أن يستثنى من صفة ذم منفية صفة مدح.

(ب) أن يثبت لشيء صفة مدح، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى.

وتأكيد الذم بما يشبه المدح ضربان أيضا:

(أ) أن يستثنى من صفة مدح منفية صفة ذم.

(ب) أن يثبت لشيء صفة ذم، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى.

الأمثلة:

- قال ابن الرومي:

ليس به عيب سوى أنه ... لا تقع العين على شبهه

- وقال آخر:

ولا عيب في معروفهم غير أنه ... يبين عجز الشاكرين عن الشكر

- وقال النابغة الجعدي:

فتى كملت أخلاقه غير أنه ... جواد فما يبقي من المال باقيا

لا أظنك تتردد في أن الأمثلة السابقة جميعها تفيد المدح ولكنها وضعت في أسلوب غريب لم تعهده، ولذلك لا بأس بشرحه.

صدر ابن الرومي في المثال الأول كلامه بنفي العيب عامة عن ممدوحه، ثم أتى بعد ذلك بأداة استثناء هي "سوى" فسبق إلى وهم السامع أن هناك عيبا في الممدوح، وأن ابن الرمي سيكون جريئا في مصارحته به، ولكن السامع لم يلبث أن وجد بعد أداة الاستثناء صفة مدح، فراعته هذا الأسلوب، ووجد أن ابن الرومي خدعه فلم يذكر عيبا، بل أكد المدح الأول في صورة توهم الذم، ومثل ذلك يقال في المثال الثاني. فكان ذلك توكيدا للمدح الأول في أسلوب ألف الناس سماعه في الذم، وكذلك يقال في المثال الأخير. ويسمى هذا الأسلوب في جميع الأمثلة المتقدمة وما جاء على شاكلتها تأكيد المدح بما يشبه الذم.

وهناك أسلوب لتوكيد الذم بما يشبه المدح وهو كالأسلوب السابق، له صورتان: فالأولى نحو: لا جمال في الخطبة إلا أنها طويلة في غير فائدة، والثانية نحو: القوم شحاح إلا أنهم جبناء.

(7) أسلوب الحكيم

أسلوب الحكيم تلقى المخاطب بغير ما يتقبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد، إشارة إلى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى.
الأمثلة:

- قال تعالى: {يسألونك عن الأهلة: قل هي مواقيت للناس والحج ..} (189) سورة البقرة.

- سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن طهارة ماء البحر فقال:

هو الطهور ماؤه الحل ميتته

- قال ابن حجاب:

قلت ثقلت إذ أتيت مرارا ... قال ثقلت كاهلي بالأيادي

قلت طولت قال لا بل تطو ... لت وأبرمت قال حبل ودادي

قد يخاطبك إنسان أو يسألك سائل عن أمر من الأمور فتجد من نفسك ميلا إلى الإعراض عن الخوض في موضوع الحديث أو الإجابة عن السؤال لأغراض كثيرة منها أن السائل أعجز من أن يفهم الجواب على الوجه الصحيح، وأنه يجمل به أن ينصرف عنه إلى النظر فيما هو أنفع له وأجدى عليه، ومنها أنك تخالف محدثك في الرأي ولا تريد أن تجبهه برأيك فيه، وفي تلك الحال وأمثالها تصرفه في شيء من اللباقة عن الموضوع الذي هو فيه إلى ضرب من الحديث تراه أجدر وأولى.

انظر إلى المثال الأول تجد أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم سألوه عن الأهلة، لم تبدو صغيرة ثم تزداد حتى يتكامل نورها ثم تتضاءل حتى لا ترى، وهذه مسألة من مسائل علم الفلك يحتاج في فهمها إلى دراسة دقيقة طويلة فصرفهم القرآن الكريم عن هذا ببيان أن الأهلة وسائل للتوقيت في المعاملات والعبادات؛ إشارة منه إلى أن الأولى بهم أن يسألوه عن هذا: وفي الحديث الثاني سألوه عن طهارة ماء البحر فأجابهم عن سؤالهم وزادهم الرسول صلى الله عليه وسلم فائدة أخرى وهي حلية ميتة البحر.
وصاحب ابن حجاج في المثال الثاني يقول له قد ثقلت عليك بكثرة زيارتي فيصرفه عن رأيه في أدب وظرف وينقل كلمته من معناها إلى معنى آخر. ويقول له: إنك ثقلت كاهلي مما أغدقت علي من نعم ومثل ذلك يقال في البيت الثاني، وهذا النوع من البديع يسمى: أسلوب الحكيم.

علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة.	
أقسامه : محسنات لفظية ومحسنات معنوية .	
أن يتشابه اللفظان في النطق، ويختلفا في المعنى. وهو نوعان :	
١- الجناس :	<p>أ- تام، وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة، هي: نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها، مثل: يقيني بالله يقيني.</p> <p>ب- غير تام، وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة، مثل: الجذ في الجذ، والحرمان في الكسل، رحم الله من فك كفه، وكف فكه.</p>
٢- الاقتباس :	تضمين النثر أو الشعر شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، من غير دلالة على أنه منهما، ويجوز أن يُغير في الأكر المُقتبس قليلاً، مثل: لا تغررك من الظلمة كثرة الجيوش والأنصار ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾
٣- السجع :	توافق الفاصلتين في الحرف الأخير وأفضله ما تساوت فقره، مثل: «اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً».

١- التورية :		أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً، له معنيان، قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفي هو المراد، مثل: كأننا للمجاورة اقتسمنا قلبني جارهم والدمع جاري
٢- الطباق :		الجمع بين الشيء وضده في الكلام، وهو نوعان :
٢- الطباق :	<p>أ- طباق الإيجاب، وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً، مثل: ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكو كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون﴾.</p> <p>ب- طباق السلب، وهو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً، مثل: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾.</p>	
٣- القابلة :	أن يؤتى بمعنيين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، مثل: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾.	
٤- حسن التعليل :	أن يُنكر الأديب صراحة أو ضمناً علة الشيء المغروفة، ويأتي بعلة أدبية طريفة تناسب الغرض الذي يقصد إليه، مثل: لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسئل حزب للمكان العالي	

أسئلة للتقويم الذاتي:

استخرج المحسن البديعي مبينا نوعه:

- 1- قال تعالى: {وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ..} (5) (83) سورة النساء.
- 2- وقال تعالى: {وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون} (26) سورة الأنعام.
- 3- وقال تعالى: {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ..} (5) (286) سورة البقرة.

4- قال تعالى: {أو من كان ميتا فأحييناه ..} (122) سورة الأنعام.

5- قال الحريري: ارتفاع الأخطار، باقتحام الأخطار. وقال بعض البلغاء: الإنسان بآدابه، لا بزبه وثيابه.

6- وقال دعبل الخزاعي

لا تعجبي يا سلم من رجل --- ضحك المشيب برأسه فبكي

7- وقال البحترى

تقيض لي من حيث لا أعلم النوى --- ويسري إلي الشوق من حيث أعلم

8- وقال غيره:

ما مات من كرم الزمان فإنه --- يحيا لدى يحيى بن عبد الله

فهمت كتابك يا سيدي --- فهمت ولا عجب أن أهيمما

9- وقال يمدح سيف الدولة:

بسيف الدولة اتسقت أمور --- رأيناها مبددة النظام

سما وحمى بني سام وحام --- فليس كمثله سام وحام

10- قال ابن بطوطة في وصف مصر:

هي مجمع الوارد والصادر (1)، ومحط رحل (2) الضعيف والقادر، بما ما شئت من عالم وجاهل، وجاد وهازل، وحليم وسفيه، ووضيع ونبيه، وشريف ومشروف، ومنكر ومعروف، تموج موج البحر بسكانها، وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها.

والحمد لله رب العالمين